

البيضاء (1)، ناحية (وقضاء) ومدينة تاريخية في فارس.

تر. أ. دلال عباس

(1) **ناحية البيضاء.** في محافظة سبيدان [البيض]، في الشمال الغربي من إقليم فارس، في منطقة باردة، في سهل خصب وتضم أفضية: البيضاء، وبانيش وكوشك هزار. يحدها من الشمال ناحية كامفيروز (في محافظة مرودشت)، ومن الشرق محافظة مرودشت، ومن الجنوب محافظة شيراز، ومن الغرب الناحية المركزية (محافظة سبيدان). من جبالها المهمة: غر، ومور، وشش بير [الشيوخ الستة]، ونسا (من سلسلة جبال زاغروس)، ويقع مضيق غوره دان (قوره دان) في السطح الشمالي من جبل غوره دان (على بعد حوالي 26 كلم إلى الجنوب الشرقي من أردكان). يروي أراضيها نهر أردكان الفصلي، ونهر شش بير. يجري نهر كر في الجهة الشمالية الشرقية منها. في هذه الناحية عدة سلاسل قنوات ووفرة من الينابيع، من بينها جورك، وتشله غاه بزرك [الكبير]، وتشله غاه كوتشك [الصغير]، وأنجيرك، وهفت خوان (بمحاذاة قرية هفت خوان). تقع قراها بشكل رئيسي في السهل. من نباتاتها: أشجار البلوط، والبطم، واللوز الجبلي، والكثيراء، وأصابع العروس، ولسان الثور؛ ومن الحيوانات الماعز الجبلي، والوعول، والنعاج، والغزلان، والذئب، والخنزير البرية، والثعالب والأرانب، ومن الطيور: الحجل، والدراج. محاصيلها المهمة: القمح، والشعير، والبقول، والعنب، والتفاح، والخضراوات. من الشائع فيها تربية الحيوانات (الحملان، والأبقار، والجمال)، والنحل. ومن صناعاتها اليدوية حياكة البسط القطنية، وصناعة السجاد. تُصدّر بسطها المزخرفة بالرسوم سالاري [الأميرية] والمحمّدية. تستوطنها عشيرة كرمي من عشائر القبيلة القشقائية، كما تقيم فيها بطون من العشيرة اللرية ممسنية. البلدات المهمة في ناحية البيضاء: هرابال (مركز قضاء البيضاء) على بعد 54 كلم إلى الجنوب الشرقي من أردكان، فيها مزاران هما مزار ناصر بن عمّار ومزار إمامزادة (سليل الإمامة) إبراهيم (إيران. وزارة الدفاع. المديرية الجغرافية للجيش، مج 92، ص 438)؛ بانيش (مركز قضاء بانيش)، كوشك هزار (مركز قضاء كوشك هزار)؛ وتل البيضاء (← تتمة المقالة) على بعد 63 كلم إلى الجنوب الشرقي من أردكان (رزم آرا، مج 7، ص 51-52)،

وفيهما الكثير من الآثار القديمة (كيهان، ص 226). بلدات قضاء البيضاء المهمة هي: قرية مَلِيان (على بعد 64 كلم إلى الجنوب الشرقي من أردكان)، فيها آثار لبضع قلاع قديمة، وتلة قديمة ومزار باسم السيد أحمد شاه (إيران. وزارة الدفاع. المديرية الجغرافية للجيش، مج 92، ص 404)؛ قرية شيخ عبود وفيها مزار باسم الشيخ شهاب الدين، وموضع باسم الشاه غيب (م.ن، مج 103، ص 102)، وقرية "زياد آباد" (حوالي 59 كلم إلى الجنوب الشرقي من أردكان)، التي عدّها البعض "قلعة زياد" نفسها (← تتمة المقالة) (الفسائي، ص 181-182).

هنالك رجالٌ عظماء أصلهم من البيضاء، من بينهم سيويوه* العلامة النحويّ (المتوفى سنة 194هـ)، والحسين بن منصور الحلاج* (المتوفى سنة 307هـ) المتصوّف المشهور، وعبد الله بن عمر البيضاوي* (المتوفى سنة 696هـ) مفسّر القرآن.



المؤسسة الطوبوغرافية.

الموقع الجغرافي لمدينة البيضاء التاريخية

2) مدينة البيضاء التاريخية. إحدى مدن إيران التاريخية القديمة، تقع في ناحية البيضاء في المنطقة الباردة من فارس (الإصطخري، ص 143)، ولا تزال أطلالها ماثلةً بالقرب من بلدة مَلِيان (فرست الشيرازي، ص 336). يقول ياقوت الحموي نقلاً عن حمزة الإصفهاني: اسم البيضاء معرّب "دَر إسفيد" [احتمالاً دج سبيد=القلعة البيضاء] (مج 1، ص 791). كان اسمها الفارسيّ نَسَا، نَسَايِك/نَسَاتِك/نَشَانِك (الإصطخري، ص 126؛ ابن حوقل، ص 281). يُنسب بناء مدينة البيضاء إلى غشتاسب، ابن لهراسب الكيانيّ (حمد الله المستوفي، ص 147). في العصر الساسانيّ، كما ذكر الطبريّ (مج 2، ص 38)، حين بلغ أردشير السابعة من عمره، اصطحبه أبوه إلى نَسَا (البيضاء) لدى جُوزِهْر (أو جُزِهْر/كوزِهْر) شاه. حين كَبُر أردشير نصح أباه أن يتمرّد على جوزِهْر الذي كانت البيضاء [نَسَا] مقرّ عرشه. ففعل الأب ذلك؛ قَتَلَ جوزِهْر واستولى على العرش (أيضاً—نولدكه، ص

42-43). كانت نسايك أيضًا، مقرّ عرش رام بهشت، زوجة ساسان وابنة ملك سلالة بازرنغي (هوار، ص 123). في السنة 17هـ أرسل عمر بن الخطاب (رض) عثمان بن أبي العاص لفتح كورة إصطخر، لكنّ والي إصطخر وافق على دفع الجزية، وجنّب أهالي البيضاء خوض غمار الحرب (الفسائيّ، مج 1، ص 173-175). في العام 28هـ، هاجم عامر بن كريز ديار بارز وقلاع فارس-التي كانت خاضعة لأهالي البيضاء-، وفتحها (ابن سعد، مج 5، ص 45-46). في العام 39هـ، في أثناء خلافة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، امتنع أهالي فارس عن تأدية الخراج لسهل بن حنيف. فأرسل الإمام عليه السلام إليهم زيادًا بن أبيه، فعاملهم بالحسنى وجعل مدينة إصطخر مقرّ حكمه، وشيّد بين البيضاء وإصطخر قلعةً، سُميت "قلعة زياد"، وحمل إليها الأموال (الطبريّ، مج 5، ص 137-138). في العام 129هـ، كانت البيضاء ساحة المعركة التي جرت بين عامر بن ضبارة مبعوث الخليفة الأمويّ مروان الثاني، وبين عبد الله بن معاوية (م.ن، مج 7، ص 352). حسبَ جغرافيّو القرن الثالث الهجريّ البيضاء من مدن كورة إصطخر؛ وذكروا أنّ المسافة بينها وبين شيراز ستّة فراسخ (ابن الفقيه، ص 202-203) أو سبعة فراسخ (ابن خردادبه، ص 46-47). في هذه المرحلة نفسها (261هـ)، أُقيم سرادق السلطان يعقوب بن اللّيث في البيضاء، التي كان فيها مرج واسع (الفسائيّ، مج 1، ص 210)، وجرت معركة بينه وبين محمّد بن واصل في ناحية مروسدان (مروستان أو مروست/مروشدت)، من نواحي البيضاء (الإصطخريّ، ص 143). في القرن الرابع الهجريّ كانت البيضاء تُعدّ من أكبر مدن كورة إصطخر، تضمّ قلعةً وسورًا وبرجًا ورباطًا. كانت مبانيها من الطين، وعماراتها متقنة، ومناخها رطب و[المدينة نفسها] كانت وافرة الخيرات، تصدّر غلالها إلى شيراز (م.ن، ص 126-127؛ ابن حوقل، ص 266، 272، 281).

في أواخر القرن نفسه، حسبها المقدسيّ من ضمن مدن شيراز، مضيّفًا: إنّ نسا التي تُسمّى أيضًا البيضاء، مدينةً نظيفةً، جميلةً، حسنةً المناخ، وفيها مسجدٌ جامع ومزار (ص 423-424، 432). في العام 415هـ جرت معركة حامية الوطيس بين قوام الدولة الديلميّ (المتوفى سنة 419هـ) المشهور بقوام الدولة أبي الفوارس وبين

أخيه سلطان الدولة الديلمي (المتوفى سنة 415هـ)، بين مدينة البيضاء ومدينة إصطخر، أسفرت عن هزيمة أبي الفوارس (ابن الأثير، مج 7، ص 318). في العام 442هـ، توجه طغرل بيك على رأس جيشه إلى [ناحية] البيضاء، ونهب قراها، وعاد منها بالغنائم الكثيرة (م.ن، مج 8، ص 54، 62). في العام 447هـ، توجه فولاد، القائد الديلمي الذي كان قد احتل قلعة إصطخر، إلى شيراز، وألغى الخطبة باسم طغرل بيك، وقرأها باسم أبي سعد، أخي طغرل بيك. رأى أبو سعد في ذلك خديعةً، وحاصر شيراز، التي مات عدد كبيرٌ من أهلها جوعاً. لجأ فولاد إلى ضواحي البيضاء وقلعة إصطخر، لكن جيش أبي سعد احتلها أيضاً (م.ن، مج 8، ص 69). في أوائل القرن السادس الهجري، كانت البيضاء مدينةً صغيرة، إنما جميلة، فيها مرج مساحته عشرة فراسخ بعشرة فراسخ، ونواح عديدة، ومسجد جامع ومنبر، وكانت عامرةً (ابن البلخي، ص 28-129) وظلت لقلعة البضاء أهميتها، ففي العام 533هـ حين استولى الأمير قراسنقر على مدن فارس، توجه الأتابك قراسنقر لمحاربة الأمير بوزبه [= بوزابه]، فلجأ هذا الأخير خوفاً إلى قلعة البيضاء (ابن الأثير، مج 8، ص 365). في عصر الأتابك أبي بكر (المتوفى سنة 607هـ) بُني في البيضاء رباط باسم المظفري، وربط الشيخ جمال الدين حسين الدزكي (زركوب الشيرازي، ص 60). في القرن السابع الهجري، كانت قلعة البيضاء موجودةً وكان يُطلق عليها اسم "قلعة سبيد [القلعة البيضاء]"، فحين توفي الأتابك سعد زنغي في البيضاء [في العام 622هـ]، أرسل وزيره الخواجة غياث الدين اليزدي خاتمه إلى "القلعة البيضاء" (رشيد الدين فضل الله، مج 1، ص 659). كان ينمو في البيضاء كما نقلوا، عنب كل حبة من حباته عشرة مثاقيل، وتفتح محيط كل واحدة منه وجبان. كان فيها كذلك حيّات وعقارب وغيرها من الحشرات والهوام المؤذية (القزويني، ص 110). في أوائل القرن الثامن الهجري، كرر حمد الله المستوفي ما كان قد كتبه ابن البلخي عن مدينة البيضاء، لكنه لم يُشر إلى مسجدها الجامع ومنبرها؛ لأنه كما يبدو لم يعد له أي أثر بعد الاجتياح المغولي، بسبب المعارك المتتالية. في العصر التيموري، كان سهل البيضاء كذلك ساحة الحرب بين الأمراء، ففي العام 818هـ، جرت معركة فيه بين الأمير إبراهيم سلطان، والأمير بايقرا (الفسائي، مج 1، ص 335).

منذ العصر الزندي وما تلاه، ورد في المصادر اسم تل البيضاء، الذي يبدو أنه الموضع القديم لمدينة البيضاء، وكان المكان الذي تعبره الجيوش الزندية والقاجارية، وتتوقف فيه. ربما كانت ناحية البيضاء في ذلك الحين جيدة الأوضاع زراعيًا، ففي أثناء هجوم الآغا محمد خان القاجاري على فارس أواخر عصر لطفعلي خان الزندي (حك: 1203-1209هـ/1789-1795م)، كانت مؤن جيش لطفعلي خان مصدرها ناحية البيضاء (شهاوري الشيرازي، ص 72، 93). في العام 1311هـ/1893م كان طول ناحية البيضاء من بوزنجان (حوالي ثلاثين كيلومترًا إلى الجنوب الشرقي من أردكان) حتى كوشك (على بعد 21 كلم إلى الشمال الشرقي من زرقان) ثمانية فراسخ، وعرضها من قرية تنغ خياره (على بعد 73 كلم إلى الجنوب الشرقي من أردكان) أكثر من ثلاثة فراسخ. كان يحدها من الشمال رامجرد وكامفيروز، ومن الغرب أردكان، ومن الجنوب ضاحية شيراز، وكانت مساحة مرجها "قرق البيضاء" ثلاثة فراسخ بفرسخ واحد، وكانت مرعى الخيول الملكية، وموضع منصات مدفعية شيراز. كان اسم قسبة [=مركز] ناحية البيضاء في ذلك العصر، "تل البيضاء" (الفسائي، مج 2، ص 1270). كانت مدينة مليون (تقع قرية مليون الحالية بجانب أطلالها) المركز القديم لناحية البيضاء، ففي هذا المكان تُشاهد آثار كثيرة من العمارات الكبيرة المدمرة، وفي مواضع منه آثار برج القلعة القديم (م.ن، ص.ن)، مما يُثبت وجود ناحية البيضاء الكبيرة والتاريخية في القرون الماضية.

المصادر والمراجع: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن البلخي، فارس نامه [تاريخ فارس]، ط. غي لسترنج ورينولد آلن نيكلسون، لندن 1921م/1339هـ، ط. أوفست طهران 1363ش [1984م]؛ ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، ط. كرامرس، ليدن 1967م/1386هـ؛ ابن خردادبه، كتاب المسالك والممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م/1386هـ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، بيروت 1405هـ/1985م؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ط. دخويه، ليدن 1967م/1386هـ؛ إبراهيم بن محمد الإصطخري، كتاب مسالك الممالك، ط. دخويه، ليدن 1967م/1386هـ؛ إيران، وزارة الدفاع. المديرية الجغرافية للجيش، فرهنگ جغرافیائی آبادیهای کشور جمهوری اسلامی ایران، ج 92: أردكان، ج 103: شيراز

[المعجم الجغرافي لمدن وبلدات الجمهورية الإسلامية الإيرانية، مج 92: أردكان، مج 103: شيراز]، طهران 1362ش [1983م]؛ جديتريين نقشه راهها وتقسيمات كشورى جمهورى اسلامى ايران [الخريطة الأكثر جدّة للطرق والتقسيمات الإدارية في الجمهورية الإسلامية الإيرانية]، مشهد: مؤسّسة ودار نشر ماهوان، 1377ش [1998م]؛ عباس الجعفري، گيتاشناسى ايران: ج 1: كوهها وكوهنامه ايران [طوبوغرافية ايران، مج 1، الجبال الإيرانية وتسمياتها]، طهران 1368ش [1989م]؛ حمد الله بن أبي بكر حمد الله المستوفي، نزهة القلوب، ط. محمد دبیر سياقي، طهران 1336ش [1957م]؛ حسينعلي رزم آرا، فرهنگ جغرافياي ايران (آبديها)، ج 7: استان هفتم (فارس) [معجم ايران الجغرافي (القرى والبلدات)، مج 7: الإقليم السابع (فارس)]، طهران 1355ش [1976م]؛ رشيد الدين فضل الله، جامع التواريخ، ط. محمد روشن ومصطفى الموسوي، طهران 1373ش [1994م]؛ أحمد بن أبي الخير زركوب الشيرازي، شيراز نامه [تاريخ شيراز]، ط. بهمن كريمي، طهران 1310ش [1931م]؛ عبد الكريم بن علي رضا الشهاوري الشيرازي، تاريخ زنديه: جانشينان كريم خان زند [تاريخ الزنديّة: خلفاء كريم خان الزندي]، ط. أرنست بنير، طهران 1365ش [1986م]؛ محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ط. محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت [1382-1387هـ/1962-1967م]؛ محمد نصير بن جعفر فرصت الشيرازي، آثار العجم: در تاريخ وجغرافياي مشروح بلاد واماكن فارس [آثار العجم: في التاريخ والجغرافيا المفصلين لبلاد فارس وأماكنها]، ط. حجرية بومباي 1314هـ، ط. علي الذهباشي، ط. أوفست طهران 1362ش [1983م]؛ حسن بن الحسن الفسائي، فارسنامه ناصري، ط. منصور رستگار فسائي، طهران 1367ش [1988م]؛ زكريا بن محمد القزويني، كتاب آثار البلاد وأخبار العباد، ط. ووستنفلد، فيسبادن 1967م؛ مسعود كيهان، جغرافياي مفصل ايران [جغرافية ايران المفصلة]، طهران 1310-1311ش [1931-1932م]؛ محمد بن أحمد المقدسي، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط. دخويه، ليدن 1967م؛ تيودور نولدكه، تاريخ ايرانيين وعربها در زمان ساسانيان [تاريخ الإيرانيين والعرب في العصر الساساني]، ترجمه بالفارسيّة عباس زرياب، طهران [تاريخ المقدّمة 1358ش [1979م]]؛ كلمان هوار، ايران وتمدن ايراني [ايران والحضارة الإيرانية]، ترجمه بالفارسيّة

حسن أنوشه، طهران 1363ش [1984م]، ياقوت الحمويّ، معجم البلدان، ط. فرديناند
ووستفلد، لايبزيغ 1866-1873م/1282-1289هـ، ط. أوفست طهران 1965م/
1384هـ.

معصومة بادنج/